

الدَّرْسُ الثَّالِثُ عَشَرَ: عِنْدَمَا اخْتَفَتِ الْعَصَافِيرُ

١- ارْتَفَعَتِ الضَّوْضَاءُ حَتَّى لَامَسَتِ السُّحُبَ. كَانَتْ أَكْبَرَ ضَوْضَاءٍ مِنْ صُنْعِ الْبَشَرِ عَرَفَتْهَا الْأَرْضُ. مِائَاتُ الْمَلَائِكِينَ مِنَ الْبَشَرِ، يَدُقُّونَ الطُّبُولَ، وَيَضْرِبُونَ بِالْعِصِيِّ عُلْبَ الصَّفِيحِ، وَيَصْرُخُونَ وَيَقْرَعُونَ الصَّنَادِيقَ الْخَشَبِيَّةَ، وَيُصَفِّقُونَ بِأَكْفِهِمْ وَيُصَفِّرُونَ وَيُزَمِّرُونَ بِالْمَزَامِيرِ. كَانُوا وَهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ يُلَوِّحُونَ عَالِيًا وَعَنيفًا بِقُمَصَانِهِمْ، وَبِمَنَادِيلَ مُلَوَّنَةٍ وَيَخْرِقُ الْقُمَاشَ، وَبِأَيَْادِيهِمُ الْعَارِيَّةَ. أَمَّا



بَنَادِقُ الصَّيِّدِ فَلَمْ تَكْفَ عَنْ إِطْلَاقِ فَرْقَعَاتِهَا. صَارَتِ السَّمَاءُ جَحِيمًا مِنَ الضَّوْضَاءِ، تَقَرَّ مِنْهَا الْعَصَافِيرُ، فَلَا تَجِدُ أَمَامَهَا إِلَّا الضَّوْضَاءَ.. تَطِيرُ مَفْرُوعَةً مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ بَحْثًا عَنْ مَلَاذٍ هَادِيٍّ، فَلَا تَجِدُ أَمَامَهَا إِلَّا الضَّوْضَاءَ. وَإِنْ حَاوَلَتْ الْهُبُوطَ

لِتُرِيحَ أَجْنَحَتَهَا، وَتَهْدَأَ عَلَى الْأَرْضِ أَوْ عَلَى غُصْنٍ، أَفْرَعَتَهَا تَلْوِيحَاتُ الْمَنَادِيلِ وَالْخِرْقِ وَالْأَيَْادِي الْعَارِيَّةِ وَفَرْقَعَاتُ الْبَنَادِقِ.

٢- لَمْ يَكُنْ أَمَامَ الْعَصَافِيرِ إِلَّا مُوَاسِلَةُ الطَّيْرَانِ. وَكَانَتْ مُوَاسِلَةُ الطَّيْرَانِ تُرْهِقُ قُلُوبَهَا الصَّغِيرَةَ، فَتَرْدَادُ الضَّرَبَاتُ، ثُمَّ تَتَوَقَّفُ لِمُتَوَاتٍ فِي الْجَوِّ. مَلَائِكَةُ الْعَصَافِيرِ رَاحَتْ تَتَسَاقَطُ عَلَى الْحُقُولِ الشَّاسِعَةِ وَفَوْقَ الْأَنْهَارِ وَالْبُحَيْرَاتِ وَالْوُدْيَانِ، مَطَرٌ رَمَادِيٌّ غَزِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْعَصَافِيرِ الْمَيِّتَةِ كَانَ يَتَسَاقَطُ عَلَى أَرْضِ الْبَلَدِ الْكَبِيرِ وَتَتَلَقَّهُ أَيْدِي الْجَمَاهِيرِ الْمَجْنُونَةِ بِالْحَمَاسِ. كَانَتْ الْبُطُولَةُ تُنَمِّحُ لِمَنْ يَقْتُلُ أَكْبَرَ عَدَدٍ مِنَ الْعَصَافِيرِ بِزَعْمِ أَنَّهَا تُنَافِسُ الْبَشَرَ فِي التَّهَامِ حُبُوبِ الْقَمْحِ فِي الْحُقُولِ.